رسالة في العقائد لشيخ
الاسلام ابن تيمية قدس
الله سره العزيز
ونفعنا بعلومه
والمسلمين
امين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ٥ ٥٥
فصل في ان القرآن كلام الله ليس بشيء منه كلام غيره لا
جبريل ولا محمد ولا غيره قال الله تعالى فاذا قرأت القرآن
فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين
امنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم
به مشركون واذا بدلنا اية مكان اية والله اعلم بما ينزل قالوا
انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق
ليثبت الذين امنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم انهم
يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا
لسان عربي مبين ٥ فامر سبحانه ان يقول نزله روح القدس والضمير
في قوله قل نزله عائد الى ما في قوله بما ينزل والمراد به القرآن
كما يدل عليه سياق الكلام وقوله والله اعلم بما ينزل فيه
اخبار الله بانه انزل لكن ليس في هذه اللفظة بيان ان روح القدس
نزل بها لانه منزل منه ولفظ الانزال في القرآن قد يرد مقيدا
بالانزال منه كنزول القرآن وقد يرد مقيدا بالانزال من السماء
ويراد به العلو فيتناول نزول المطر من السحاب ونزول الملائكة من
عند الله وغير ذلك وقد يرد مطلقا فلا يختص نوع من الانزال

بل يتناول الانزال من رؤس الجبال كقوله وانزلنا الحديد فيه
باس شديد والانزال من ظهور الحيوان كانزال الفحل الماء في
ذلك فقوله نزله روح القدس من ربك بيان لنزول جبريل به من
الله فان روح القدس هنا هو جبريل بدليل قوله من كان عدوا
لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله وهو الروح الامين في قوله
وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون
من المنذرين وفي الامين دلالة على انه موثق على ما ارسل
به لا يزيد فيه ولا ينقص فان الرسول الخائن قد يغير الرسالة
كما قال في وصفه في الاية الاخرى وانه لقول رسول كريم
ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وفي قوله منزل
من ربك دلالة على امور منها بطلان قول من يقول انه كلام
مخلوق خلقه في جسم من الاجسام المخلوقة كما هو قول الجهمية
الذين قالوا بخلق القرآن من المعتزلة والنجارية والضرارية
وغيرهم فان السلف كانوا يسمون كل من نفى الصفات وقال
ان القرآن مخلوق وان الله لا يرى في الاخرة جهميا فان
جهما اول من ظهرت عنه بدعة نفي الاسماء والصفات
وبالغ في نفي ذلك فلما في هذه البدعة من زيد المبالغة في النفي

والابتداء بكرة اظهار ذلك والدعوة اليه وان كان جعد سبقه الى بعض ذلك فان لجعد بن درهم اول من احدث ذلك في الاسلام فضحي به خالد بن عبد الله القسري بواسط يوم النحر وقال ايها الناس ضحوا تقبل الله منكم ضحاياكم فاني مضح بالجعد بن درهم انه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا ثم نزل فذبحه لكن المعتزلة والضرارية والنجارية وان وافقوا جهما على بعض ذلك فهم يخالفونه في مسايل غير ذلك كمسايل الايمان والقدر وبعض مسايل الصفات لا يبالغون في ذلك النفي مبالغته والمقصود ان قوله منزل من ربك فيه بيان انه منزل من الله لا من مخلوق من المخلوقات ولهذا قال السلف منه بدا اي هو الذي تكلم به لم يبتدء من غيره كما قالت الخلقية ومنها قوله منزل من ربك فيه بطلان قول من يجعله فاض عن نفس النبي من العقل الفعال او غيره كما يقول ذلك طوايف من الفلاسفة الصابية وهذا القول اعظم كفرا وضلالا من الذي قبله ومنها ان هذه الاهية ايضا تبطل قول من يقول ان القران العربي ليس منزلا من الله بل مخلوق اما في جبريل او محمد او جسم من الاجسام غيرهما كما يقول ذلك الكلابية والاشعرية الذين يقولون القران العربي ليس هو كلام الله وانما كلامه المعنى القايم بذاته والقران العربي خلق ليدل على ذلك المعنى ثم اما ان يكون خلق في بعض الاجسام الهوا او غيره او الهمه جبريل فعبر عنه بالقران العربي او الهمه محمد فعبر عنه بالقران العربي او يكون اخذ من اللوح المحفوظ او غيره فهذه الاقوال التي يقال تفريعا على هذا القول فان هذا القران العربي لا بد له من متكلم تكلم به اولا قبل ان يصل الينا وهذا القول يوافق قول الخلقية في اثبات خلق القران العربي وكذلك التوراة التوراة العبرية ويفارقه من وجهين احدهما ان اولئك يقولون ان المخلوق كلام الله وهاولاء لا يقولون انه كلام الله ومن هذا الوجه فقول الخلقية اقرب الثاني ان هاولاء يقولون لله كلام هو معنى قايم بذاته والخلقية يقولون لا يقوم بذاته كلام ومن هذا الوجه والكلابية خير من الخلقية في الظاهر لكن جمهور الناس يقولون ان اصحاب هذا القول عند التحقيق لم يثبتوا كلاما له حقيقة غير المخلوق فانهم يقولون انه معنى واحد هو الامر والنهي والخبر ان عبر عنه بالعربية

كان قرآنًا وان عبر عنه بالعبرية كان توراةً وان عبر عنه بالسريانية
كان انجيلًا ومنهم من قال هو خمس معان وجمهور العقلاء يقولون
ان فساد هذا القول معلوم بالضرورة بعد التصور التام والعقلاء
الكثيرون لا يتفقون على الكذب وتجد الضرورات من غير تواطي
واتفاق كما في مخبر الاخبار المتواترة واما مع التواطوء فقلة
يتفقون على الكذب عمدًا وقد يتفقون على تجد الضرورات
وان لم يعلم كل واحد منهم انه جاحد للضرورة لحسن ظنه بمن يقلد
قوله ولهذه النكتة ذكر القول كما اتفقت النصارى والرافضة
وغيرهم من الطوائف على مقالات يعلم فسادها بالضرورة قال
جمهور العقلاء نحن اذا عربنا التوراة والانجيل لم يكن معنى
ذلك معنى القرآن بل معاني هذه ليست معاني هذا ولذلك
معنى قل هو الله احد ليس هو معنى تبت يدا ابي لهب ولا
معنى آية الكرسي معنى الدين وقالوا اذا جوزتم ان تكون
الحقايق المتنوعة شيئًا واحدًا فجوزوا ان يكون العلم والقدرة
والكلام والسمع والبصر صفة واحدة فاعترف انه هذا
القول بان هذا الالزام ليس لهم عنه جواب عقلي ثم منهم من
قال الناس في الصفات اما مثبت لها قايل بالتعدد واما نافٍ لها

واما اثباتها واتخاذها خلاف الاجماع وهذه طريقة القاضي
ابي بكر بن الباقلاني وابي المعالي الجويني وغيرهما ومنهم من
اعترف بانه ليس له عنه جواب كابي الحسين البصري والمقصود
هنا ان هذه الآية تبين بطلان هذا القول كما بينت بطلان
غيره فان قوله نزله روح القدس من ربك يقتضي نزول القرآن
من ربه والقرآن اسم للقرآن العربي لفظه ومعناه بدليل قوله
فاذا قرأناه فاتبع قرآنه وانما يقرأ القرآن العربي لا يقرأ معانيه
المجردة وايضا فضمير المفعول في قوله نزله عائد الى ما في
قوله والله اعلم بما ينزل فالذي انزله الله هو الذي نزله روح
روح القدس فاذا كان روح القدس نزل بالقرآن العربي
لزم ان يكون نزله من الله فلا يكون شيء منه نزل من غيره
من الاعيان المخلوقة ولا من نفسه وايضا فانه قال عقيب
هذه الآية ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي
يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين وهم كانوا
يقولون انما يعلمه هذا القرآن العربي لم يكونوا يقولون
انما يعلمه بشر معانيه فقط بدليل قوله لسان الذي يلحدون
اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين فانه تعالى ابطل قول الكفار

بان لسان الذي الحدوا اليه فجعلوه هو الذي يعلم محمدًا القران
لسان اعجمي والقران عربي مبين فلو كان الكفار قالوا بعلة
معاينة وفطنة لم يكن هذا ردًا لقولهم فان الانسان قد يتعلم
من الاعجمي شيئًا بلغة ذلك الاعجمي ويعبر عنه بعبارته وقد
اشتهر في التفسير ان بعض الكفار كانوا يقولون هو يتعلمه من
شخص كان بمكة اعجمي قيل انه كان مولى لابن الحضرمي واذا
كان الكفار جعلوا الذي يعلمه ما نزل به روح القدس بشرًا
والله ابطل ذلك بان لسان ذلك اعجمي وهذا لسان عربي
مبين علم ان روح القدس نزل باللسان العربي المبين وان
محمدًا لم يؤلف نظم القران بل سمعه من روح القدس واذا كان روح
القدس نزل به من الله علم انه سمعه منه لم يؤلفه هو وهذا بيان
من الله ان القران الذي هو لسان العربي المبين سمعه روح
القدس من الله ونزل به منه ونظير هذه الايه وهو الذي انزل
اليكم الكتاب مفصلًا والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل
من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين والكتاب اسم للكلام
العربي بالضرورة والاتفاق فان الكلابية او بعضهم تفرق
بين كلام الله وكتاب الله حيث قولون كلامه هو المعنى القايم

بالذات وهو غير مخلوق وكتابه هو المنظوم المؤلف العربي وهو
مخلوق والقران يراد به هذا تارة وهذا تارة والله تعالى قد
سمى بقسمي مجموع اللفظ والمعنى قرانًا وكتابًا وكلامًا فقال تعالى
الر تلك ايات الكتاب وقران مبين وقال طس تلك ايات
القران وكتاب مبين وقال واذ صرفنا اليك نفرًا من الجن يستمعون
القران الى قوله قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابًا انزل من بعد موسى مبين ان الذي
سمعوه هو القران وهو الكتاب وقال بل هو قران مجيد
في لوح محفوظ وانه لقران كريم في كتاب مكنون وقال تتلوا صحفًا
مطهرة فيها كتب قيمة وقال والطور وكتاب مسطور في رق
منشور وقال ولو نزلنا عليك كتابًا في قرطاس لكن لفظ الكتاب
قد يراد به المكتوب فيكون هو الكلام وقد يراد به ما يكتب
فيه كما قال انه لقران كريم في كتاب مكنون وقال ونخرج له يوم
القيمة كتابًا يلقاه منشورًا والمقصود هنا ان قوله هو الذي انزل
اليكم الكتاب مفصلًا يتناول نزول القران العربي على كل قول
وقد اخبر ان الذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق
اخبار مستشهد بهم على ذلك فعلم ان القران العربي
منزل من الله لا من الهواء ولا من اللوح ولا من جسم اخر ولا من جبريل

ولا من محمد ولا غيرهما واذا كان اهل الكتاب يعلمون ذلك فمن لم
يقر بذلك من هذه الامه كانوا اهل الكتاب المقرون بذلك خيرا
منه وهذا لا ينافي ما جاء عن ابن عباس وغيره من السلف في
تفسير قوله انا انزلناه في ليلة القدر انه انزله الى بيت العزة
في السماء الدنيا ثم انزله بعد ذلك منجما مفرقا بحسب الحوادث
ولا ينافي انه مكتوب في اللوح المحفوظ قبل نزوله كما قال تعالى بل
هو قرآن مجيد في لوح محفوظ وقال تعالى انه لقرآن كريم في كتاب مكنون
لا يمسه الا المطهرون وقال تعالى كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره
في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة
وقال تعالى وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم فان كونه مكتوبا في
اللوح المحفوظ وفي صحف مطهرة بايدي الملائكة لا ينافي ان يكون
جبريل نزل به من الله سواء كتبه الله قبل ان يرسل به جبريل او بعد
ذلك واذا كان قد انزله مكتوبا الى بيت العزة جملة واحدة
ليلة القدر فقد كتبه كله قبل ان ينزله والله تعالى يعلم ما كان وما
يكون وما لا يكون لو كان كيف كان يكون وهو سبحانه قد قدر مقادير
الخلائق وكتب اعمال العباد قبل ان يعملوها كما ثبت ذلك بالكتاب
والسنة واثار السلف ثم انه يامر الملائكة بكتابتها بعد ما يعملونها

فتقابل بين الكتابة المتقدمة على الوجود والكتابة المتاخرة عنها
فلا يكون بينهما تفاوت هكذا قال ابن عباس وغير من السلف وهو
حق واذا كان ما يخلقه بائنا عنه قد كتبه قبل ان يخلقه فكيف
يستبعد ان يكتب كلامه الذي يرسل به ملائكته قبل ان يرسلهم به
ومن قال ان جبريل اخذ القرآن عن الكتاب لم يسمعه من الله كان
هذا باطلا من وجوه منها ان يقال فالله تعالى قد كتب
التوراة لموسى بيده فنبذوا اسرائيل اخذوا كلام الله من الكتاب
الذي كتبه هو سبحانه فيه فان كان محمد اخذه عن جبريل وجبريل
عن الكتاب كان بنو اسرائيل اعلم من محمد بدرجة وهكذا من
قال انه القى الى جبريل معاني وان جبريل عبر عنها بالكلام العربي
فقوله يستلزم ان يكون جبريل الهمه الهاما وهذا الالهام
يكون لاحاد المومنين كما قال تعالى واذ اوحيت الى الحواريين
ان امنوا بي وبرسولي وقال واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه
وقد اوحى الى سائر النبيين فيكون هذا الوحي الذي يكون
لاحاد الانبياء والمومنين اعلم من اخذ محمد القرآن من جبريل
الذي علمه محمدا هو بمنزلة الواحد من هاولاء ولهذا زعم ابن
عربي ان خاتم الاولياء افضل من خاتم الانبياء قال لانه ياخذ من

المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يرجع اليه الى ذلك الرسول فجعل
اخذه واخذ الملك الذي جاء الى الرسول من معدن واحد وادعى ان اخذ
عن الله اعلى من اخذ الرسول عن القران ومعلوم ان هذا من اعظم
الكفر وان هذا القول من جنسه وايضا فالله تعالى يقول انا اوحينا
اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابراهيم
واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط الى قوله وكلم الله موسى
تكليما ففضل موسى بالتكليم على غيره من اوحي اليه وهذا يدل على
امور على ان الله يكلم عبده تكليما زايدا على الوحي الذي هو قسيم التكليم
الخاص قال فاذا التكليم والوحي كل منهما ينقسم الى عام وخاص فالتكليم
العام هو المقسوم في قوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من
وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه والتكليم المطلق
هو قسم الوحي الخاص ليس قسما منه وكذلك لفظ الوحي قد يكون
عاما فيدخل فيه التكليم الخاص كما في قوله موسى فاستمع لما يوحى
وقد يكون قسم التكليم الخاص كما في سورة الشورى وهذا يبطل قول
من يقول الكلام معنى واحد قايم بالذات فانه حينئذ لا فرق
بين التكليم والوحي ومثل هذا قوله في الاية الاخرى وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا

فيوحي باذنه ما يشاء فدل على ان التكليم من وراء حجاب كما كلم
موسى امر غير الايحاء وايضا فقوله تنزيل الكتاب من الله العزيز
الحكيم وقوله حم تنزيل من الرحمن الرحيم وقولهم تنزيل الكتاب
من الله العزيز العليم وامثال ذلك يدل على انه منزل من الله لا
من غيره وكذلك قوله تعالى بلغ ما انزل اليك من ربك فانه يدل
على ان ما انزل اليه من ربه مامور بتبليغه ذلك وايضا فهم يقولون
انه معنى واحد فان كان موسى سمع جميع المعنى فقد سمع
جميع كلام الله وان سمع بعضه فقد تبعض وذلك ينقض قولهم
وايضا فقوله وكلم الله موسى تكليما وقوله ولما جاء موسى لميقاتنا
وكلمه ربه وقوله ونادينا من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا
وقوله فلما اتاها نودي يا موسى اني انا ربك فاخلع نعليك انك
بالواد المقدس طوى وانا اخترتك فاستمع لما يوحى الايات
دليل على تكليم سمعه موسى والمعنى المجرد لا يسمع بالضرورة ومن
قال انه يسمع فهو كلامهم مكابر ودليل على انه ناداه والند لا يكون
الا صوتا مسموعا لا يعقل في لغة العرب لفظ الند الا لغير صوت
مسموع لا حقيقته ولا مجازا وقد قال تعالى فلما اتاها نودي ان
بورك من في النار ومن حولها وايضا فقوله فلما اتاها نودي

يا موسى اني انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى وانا اخترتك فاستمع لما يوحى
حينئذ
انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلوة لذكري ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى
فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي اتوكؤا عليها
واهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى قال القها يا موسى فالقاها فاذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخف
سنعيدها سيرتها الاولى واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية اخرى لنريك من آياتنا الكبرى
اذهب الى فرعون انه طغى قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي
واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي اشدد به ازري واشركه في امري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا
انك كنت بنا بصيرا قال قد اوتيت سؤلك يا موسى ولقد مننا عليك مرة اخرى اذ اوحينا الى امك ما يوحى
ان اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له واقذفت عليك محبة مني
ولتصنع على عيني اذ تمشي اختك فتقول هل ادلكم على من يكفله فرجعناك الى امك كي تقر عينها ولا تحزن
وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين في اهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى واصطنعتك
لنفسي اذهب انت واخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر
او يخشى قالا ربنا انا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى فاتياه فقولا انا
رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى انا قد
اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى
قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم الارض مهدا
وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك
لآيات لاولي النهى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى ولقد اريناه آياتنا كلها فكذب
وابى قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه
نحن ولا انت مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى
قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتنازعوا امرهم بينهم
وأسروا النجوى قالوا ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى
فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد افلح اليوم من استعلى قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى
قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى فاوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف
انك انت الاعلى والق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى فالقي
السحرة سجدا قالوا آمنا برب هارون وموسى قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر
فلأقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن ايينا اشد عذابا وابقى قالوا لن
نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا انا آمنا
بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم
لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي فاضرب لهم طريقا
في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه
وما هدى يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم ووعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى
كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى وانني لغفار
لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وما اعجلك عن قومك يا موسى قال هم اولاء على اثري وعجلت اليك
رب لترضى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال يا قوم
الم يعدكم ربكم وعدا حسنا افطال عليكم العهد ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدي
قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك القى السامري فاخرج لهم
عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي افلا يرون الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا
ولا نفعا ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري قالوا
لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال يا هارون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا الا تتبعني افعصيت امري
قال يا ابن ام لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي قال
فما خطبك يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي
قال فاذهب فان لك في الحياة ان تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه وانظر الى الهك الذي ظلت عليه
عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما كذلك نقص
عليك من انباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه
وساء لهم يوم القيامة حملا يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا
نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا
فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الاصوات للرحمن
فلا تسمع الا همسا يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
ولا يحيطون به علما وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن
فلا يخاف ظلما ولا هضما وكذلك انزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا
فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما ولقد عهدنا الى
آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى فقلنا يا آدم ان هذا
عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى
فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما
وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال اهبطا منها
جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكري
فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك
آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من اسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة اشد وابقى
افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات لاولي النهى ولولا كلمة
سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل
غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم
زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى وأمر أهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسألك رزقا
نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى ولو
أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى
قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى اقترب للناس حسابهم وهم في
غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم وأسروا النجوى
الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون قال ربي يعلم القول في السماء والأرض
وهو السميع العليم بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ما آمنت
قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم
لا تعلمون وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء
وأهلكنا المسرفين لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا
بعدها قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم
لعلكم تسألون قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين وما خلقنا
السماء والأرض وما بينهما لاعبين لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين بل نقذف بالحق
على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون وله من في السماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون
عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون لو كان
فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسأل عما يفعل وهم يسألون أم اتخذوا
من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون
وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه
بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن
ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين
أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون
وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون وجعلنا السماء سقفا محفوظا
وهم عن آياتها معرضون وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون وما جعلنا لبشر
من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون
وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون خلق
الإنسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين لو يعلم الذين
كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون
رد بكلمه عندهم جعل العبد سامعا لما كان موجودا قبل سمعه بمنزلة
ما جعل الاعمى بصيرا لما كان موجودا قبل رويته من غير اختلاف
شيء منفصل عنه وهاولاء يردون على الخلقية الذين يقولون بخلق
القرآن ويقولون عن انفسهم انهم اهل السنة الموافقون للسلف
الذين قالوا القرآن كلام الله غير مخلوق وليس قولهم قول السلف
لكن قولهم اقرب الى قول السلف من وجه وقول الخلقية اقرب اليه
قول السلف من وجه اما كون قولهم اقرب فلانهم يثبتون لله كلاما
قائما بنفسه وهذا قول السلف بخلاف الخلقية الذين يقولون ليس
كلامه الا ما خلقه في غيره فان قولهما ولا يخالف قول السلف واما
كون قول الخلقية اقرب فلانهم يقولون انه يتكلم بمشيئته وقدرته
وهذا قول السلف وهولاء عندهم لا يقدر الله على شيء من كلامه وليس
كلامه بمشيئته واختياره بل كلامه عندهم كخيوته وهم يقولون
الكلام عندنا صفة ذات كصفة فعل والخلقية يقولون صفة فعل
لا صفة ذات ومذهب السلف انه صفة ذات وصفة فعل معا
فكل منهما موافق للسلف من وجه دون وجه واختلافهم في
كلامه كاختلافهم في افعاله دون وجه تعالى ومسايل القدر فان
المعتزلة يقولون انه يفعل بحكمة مقصودة واراده الاحسان الى العباد

شبكة الألوكة www.alukah.net

لكن لا يثبتون لفعله حكمة تعود اليه واولئك يقولون لا يفعل لحكمة
ولا لمقصود اصلا فاولئك اثبتوا حكمة لكن لا يقوم به وهاولاء لا يثبتون
له شيئا منفصلا عنه لا يتصف به ولا حكمة تعود اليه وكذلك
في الكلام اولئك اثبتوا كلاما هو فعله لكن لا يقوم به واولئك يقولون
ما لا يقوم به لا يعود حكمة اليه والفريقان لم يقوم به كلام وفعل
بيديه وقول اولئك اقرب الى قول السلف والفقهاء اذا اثبتوا
الحكمة والمصلحة في افعاله واثبتوا كلاما يتكلم به بمشيئته وقدرته
وقول هاولاء اقرب الى السلف اذا اثبتوا الصفات وقالوا لا يوصف
مجرد المخلوق المنفصل عنه الذي لم يقم به اصلا ولا يعود اليه حكم
من شيء لم يقم به فلا يكون متكلما بكلام لم يقم به ولا يكون حكيما
ورحيما بحكمة ورحمة لم يقم به كما لا يكون عليما بعلم لم يقم به وقديرا
بقدرة لم يقم به فكل من المعتزلة والاشعرية في مسايل كلام الله
وافعال الله وافقوا السلف والائمة من وجه وخالفوهم من وجه
واليس قول احدهما هو قول السلف دون الاخر لكن الاشعرية
في جنس مسايل الصفات والقدر اقرب الى قول السلف والائمة
من المعتزلة فان قيل فقد قال تعالى انه لقول رسول كريم وهذا يدل
على ان الرسول احدث الكلام العربي قيل هذا باطل وذلك ان الله

ذكر هذا في موضعين والرسول في احد الموضعين محمد والرسول في
الاية الاخرى جبريل قال تعالى في سورة الحاقة انه لقول رسول كريم وما
هو بقول شاعر قليلا ما تومنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون
تنزيل من رب العالمين فالرسول هنا محمد صلى الله عليه وسلم وقال
في سورة التكوير انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين
مطاع ثم امين فالرسول هنا جبريل فلو كان اضافه الى الرسول لكونه
احدث حروفه او احدث منه شيئا لكان الخبر عنه متناقضين فانه
ان كان احدهما هو الذي احدثها امتنع ان يكون الاخر هو الذي احدثها
وايضا فانه قال لقول رسول كريم ولم يقل لقول ملك ولا نبي ولفظ الرسول
يستلزم مرسلا له فدل ذلك على ان الرسول مبلغ له عن مرسله لا
انه انشا منه شيئا من جهة نفسه وهل يدل على انه اضافه الى المرسل
لانه بلغه واداه لا لانه انشا شيئا منه ولا ابتداه وايضا فان الله قد
كفر من جعله قول البشر بقوله انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل
كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يوثر ان هذا الا
قول البشر وقد كفر سبحانه من قال انه قول محمد فقد كفر ولا فرق بين ان يقول
هو قول بشر او جني او ملك فمن جعله قولا لاحد من هاولاء فقد كفر
ومع هذا فقال انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تومنون فجعله

فقد

قول الرسول البشري مع تكفيره من يقول انه قول البشر فعلم ان المراد
بذلك ان الرسول بلغه عن مرسله لا انه قول له من تلقاء نفسه وهو
كلام الله الذي ارسله كما قال وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى
يسمع كلام الله فالذي بلغه الرسول هو كلام الله لا كلامه ولهذا كان
النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس بالموقف ويقول الا رجل
يحملني الى قومه لابلغ كلام ربي فان قريشا قد منعوني ان ابلغ كلام
ربي والكلام كلام من قاله مبتدئا لا كلام من قاله مبلغا مؤديا وموسى
سمع كلام الله من الله بلا واسطة والرسول يسمعه بعضهم من بعض فسماع
موسى سماع مطلق بلا واسطة وسماع الناس مقيد بواسطة كما قال تعالى
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي
باذنه ما يشاء ففرق بين التكليم بواسطة حجاب كما كلم موسى وبين التكليم
بواسطة الرسول كما كلم الانبياء بارسال رسول اليهم والناس يعلمون
ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا تكلم به بحروفه ومعانيه بصوته صلى الله
عليه وسلم ثم المبلغون عنه يبلغون كلامه بحركاتهم واصواتهم كما قال
صلى الله عليه وسلم نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فاداها كما سمعها
فاحديثا فبلغه كما سمعه فالمستمع منه يبلغ حديثه كما سمعه لكن
بصوت نفسه لا بصوت الرسول فالكلام هو كلام الرسول تكلم به بصوته

والمبلغ بلغ كلام الرسول بصوت نفسه واذا كان هذا معلوما في تبليغ
كلام المخلوق بكلام الخالق اولى بذلك ولهذا قال تعالى وان احد
من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله وقال النبي صلى
الله عليه وسلم زينوا القرآن باصواتكم فجعل الكلام كلام الباري وجعل
الصوت الذي يقرأ به العبد صوت القاري واصوات العباد ليس
هو الصوت الذي ينادي به الله ويتكلم به كما نطقت النصوص بذلك
بل ولا مثله فان الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير في ذاته
ولا في صفاته ولا افعاله فليس علمه مثل علم المخلوقين ولا قدرته مثل
قدرتهم ولا كلامه مثل كلامهم ولا نداؤه مثل ندائهم ولا صوته مثل
اصواتهم فمن قال عن القرآن الذي يقرأه المسلمون ليس هو كلام الله
او هو كلام غير الله فهو ملحد مبتدع ضال ومن قال ان اصوات العباد او
المداد الذي يكتب به القرآن قديم فهو ملحد مبتدع ضال بل هذا القرآن
هو كلام الله وهو مثبت في المصاحف وهو كلام الله مبلغا عنه
مسموعا من القراء ليس هو مسموعا منه والانسان يرى الشمس والقمر
والكواكب بطريق المباشرة ويراها في الماء او هو آت منه رؤية
مقيدة بالواسطة وتلك رؤية مطلقة بطريق المباشرة وكذلك
الكلام يسمع من المتكلم به بطريق المباشرة ويسمع من المبلغ عنه

بواسطة والمقصود بالسماع كلامه في الموضعين كما ان المقصود بالرؤية
هو المرئي في الموضعين فمن عرف ما بين المحالين من الاجتماع والافتراق
والاختلاف والاتفاق زالت عنه الشبهة التي تصيب كثيرا من
الناس في هذا الباب فان طائفة قالت هذا المسموع كلام الله والمسموع
صوت العبد وصوته مخلوق فكلام الله مخلوق وهذا جهل بالله وسمع
من المبلغ ولا يلزم اذا كان صوت المبلغ مخلوقا ان يكون نفس الكلام
مخلوقا وطائفة قالت فلا يكون هذا المسموع كلام الله وهذا جهل
فان المخلوق هو الصوت لا نفس الكلام الذي يسمع من المتكلم به ومن
المبلغ عنه وطائفة قالت هذا كلام لله وكلام لله غير مخلوق
فيكون هذا الصوت غير مخلوق وهذا جهل بانه اذا قيل هذا كلام
الله فالمشار اليه الكلام من حيث هو هو وهو الثابت اذا سمع
من الله واذا سمع من غيره واذا قيل للمسموع انه كلام الله مسموع
منه فهو مسموع بواسطة صوت العبد وصوت العبد مخلوق واما
كلام الله نفسه فهو غير مخلوق حيث ما تصرف وهذه ثلث قد
بسط الكلام فيها في غير هذا الموضع ٥ فصل فان قيل ما منشأ
هذا النزاع والاشتباه والتفرق والاختلاف قيل منشأه هو الكلام
الذي ذمه السلف وعابوه وهو الكلام المشتبه المشتمل على حق

وباطل فيه ما يوافق العقل والسمع وفيه ما يخالف العقل والسمع فيأخذ
هاولاء جانب النفي المشتمل على نفي الحق والباطل وهاولاء جانب الاثبات
المشتمل على حق وباطل وجماعه هو الكلام المخالف للكتاب والسنة واجماع
السلف فكل كلام خالف ذلك فهو باطل ولا يخالف ذلك الا كلام يخالف
العقل والسمع وذلك انه لما تنازعوا في مسئلة حدوث العالم واثبات
الصانع استدلت الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم من طوائف الكلام بان
ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ثم ان المستدلين بذلك على حدوث
الاجسام قالوا ان الاجسام لا يخلو عن الحوادث وما لا يخلو عن
الحوادث فهو حادث ثم تنوعت طرقهم في المقدمة الاولى فتارة يثبتونها
بان الاجسام لا تخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وتارة يثبتونها بان
الاجسام لا تخلو عن الاجتماع والافتراق وهما حادثان وتارة يثبتونها
بان الاجسام لا تخلو عن الالوان الاربعة الاجتماع والافتراق والحركة
والسكون وهي حادثة وهذه طرق المعتزلة ومن وافقهم على ان الاجسام
قد تخلو عن بعض انواع الاعراض وتارة يثبتونها بان الجسم لا يخلو عن كل
جنس من الاعراض عن عرض منه ويقولون الاعراض يمتنع بقاؤها
لان العرض لا يسعى زمانين وهذه الطريقة هي التي اختارها الآمدي وزيف
ما سواها وذكر ان الجمهور من اصحابه اعتمدوا عليها ووافقهم عليها طائفة من الفقهاء

من اصحاب الاية الاربعه واما الهاشمية والكرامية وغيرهم من
الطوايف الذين لا يقولون بحدوث كل جسم ويقولون ان القديم
يقوم به الحوادث فهو لاء اذا قالوا بان ما يخلو عن الحوادث
فهو حادث كما هو قول الكرامية وغيرهم موافقة للمعتزلة في هذا
الاصل فانهم يقولون ان الجسم القديم يخلو عن الحوادث بخلاف
الاجسام المحدثة والناس يتنازعون في السكون هل هو امر وجودي
او عدمي فمن قال انه وجودي قال الجسم الذي لا يخلو عن الحركة
والسكون اذا انتفت عنه الحركة قام به السكون الوجودي وهذا
قول من يحتج بتعاقب الحركة والسكون على حدوث المتصف
بذلك ومن قال انه عدمي لم يلزم من عدم الحركة تعرف عن
المحل ثبوت سكون وجودي فمن قال انه يقوم به الحركة او
الحوادث بعد ان لم تكن مع قوله بامتناع تعاقب الحوادث
كما هو قول الكرامية وغيرهم يقولون اذا قامت به الحركة لم يعدم
بقيامها سكون وجودي فمثل ذلك عندهم بمنزلة قولهم مع
المعتزلة والاشعرية وغيرهم انه يفعل بعد ان لم يكن فاعلا ولا
يقولون ان عدم الفعل امر وجودي كذلك الحركة عندها ولهذا
وكان كثير من اهل الكلام يقول ما لا يخلو عن الحادث فهو حادث

بناء على ان هذه مقدمة ظاهرة بان ما لا يخلو عن الحوادث
فلا بد ان يقارنه او يكون بعده وما قارن الحادث فهو حادث
وما كان بعد حادث فهو حادث وهذا الكلام مجمل فانه اذا اريد به ما لا
يخلو عن الحادث المعين فهو حق بلا ريب ولا نزاع وكذلك اذا
بالحادث شمله اول او هو الذي كان بعد العدم ونحو ذلك واما اذا
اريد بالحوادث الامور التي تكون شيئا بعد شيء لا الى اول وقيل انه
لا يخلو عنها لم يكن ذلك ظاهرا ولا بينا بل هذا مقام حار فيه
كثير من الافهام وكثر فيه النزاع والخصام ولهذا صار اهل السنة والحديث
يقولهم ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث يعلمون ان هذا
الدليل لا يتم الا اذا ابتنى امتناع حوادث لا اول لها
قد ذكروا في ذلك طرقا قد تكلمنا عليها في غير هذا الموضع وهذا
الاصل تنازع الناس فيه على ثلثة اقوال فقيل ما لا يخلو عن
الحوادث فهو حادث وبامتناع حوادث لا اول لها مطلقا
وقيل بل يجوز دوام الحوادث مطلقا وليس كل ما قارن حادثا
بعد حادث الى لا اول يجب ان يكون حادثا بل يجوز ان
يكون قديما سواء كان واجبا بنفسه او بغيره ودار عرا عنه
بالعلة والمعلول والفاعل والمفعول ونحو ذلك وقيل بل

ان كان المستلزم للحوادث ممكنا بنفسه وجب ان يكون حادثا
وصاحب هذا القول يقول ما لم يخل عن الحوادث وهو ممكن بنفسه
فهو حادث او ما لم يخل عن الحوادث وهو معلول او مفعول او
مبتدع او مصنوع فهو حادث لانه اذا كان مفعولا مستلزما
للحوادث امتنع ان يكون قديما فان القديم المعلول لا يكون قديما الا
اذا كان له موجب قديم بذاته مستلزم معلوله بحيث يكون
معه ازليا لا يتاخر عنه وهذا ممتنع فان ما استلزم الحوادث
ممتنع ان يكون فاعله موجبا بذاته يستلزم معلوله في الازل
فان الحوادث المتعاقبة شيئا بعد شيء لا يكون مجموعها في الازل
ولا يكون شيء منها ازليا بل الازل يدخلها واحدا بعد واحد والموجب
بذاته المستلزم لمعلوله في الازل لا يكون معلوله شيئا بعد شيء صادرا
عنه بواسطه او بغير واسطه فان ما كان واحدا بعد واحد يكون
متعاقبا حادثا شيئا بعد شيء فيمتنع ان يكون معلولا مقارنا لعلته في
الازل بخلاف ما اذا قيل ان المقارن لذلك هو الواجب بذاته الذي
يفعل شيئا بعد شيء فانه على هذا التقدير لا يكون في الازل موجبا بذاته
ولا علته تامة فلا يكون معه في الازل شيء من المخلوقات لكن فاعليته
المفعولات يكون شيئا بعد شيء وكل مفعول يوجد عند وجود كمال

فاعليته اذا الموثر التام المستلزم لجميع شروط التاثير لا يتخلف
عنه اثره اذ لو تخلف لم يكن موثرا تاما فوجود الاثر يستلزم
يستلزم وجود الموثر التام ووجود الموثر التام يستلزم وجود
الاثر فليس في الازل موثر تام فليس مع الله شيء من مخلوقاته قديما
بقدمه والازل ليس هو وجودا محدودا ولا وقتا معينا بل كل ما قدره
العقل من الغاية التي ينتهي اليها فالازل قبل ذلك كما هو قبل ما قدر
فالازل لا اول كما ان الابد لا اخر له وفي الحديث الصحيح عن النبي
صلى الله عليه وسلم انت الاول فليس قبلك شيء وانت الاخر فليس بعدك
شيء فلو قيل انه موثر تام في الازل لشيء من الاشياء لزم ان يكون مقارنا
له دائما وامتنع ان يقوم به الامر بشيء من المخلوقات لان كل
حادث يحدث لا يحدث الا اذا وجد موثره التام عند حدوثه وان
كانت ذات الموثر موجودة قبل ذلك ولكن لا بد من كمال شروط التاثير
عند وجود والا لزم الترجيح بلا مرجح وتخلف المعلول عن العلة التامة
وجود الممكن بدون المرجح التام وكل هذا ممتنع وهذا مبسوط في غير
هذا الموضع واذا عرف الاصل الذي منه تنزع كثير من الناس فالذين قالوا
ما لا يسبق الحوادث فهو حادث مطلقا تنازعوا في كلام الله تعالى
فعال كثير من هؤلاء الكلام لا يكون الا بمشيته المتكلم وقدرته فيكون حادثا

كغيره من الحوادث ثم قالت طائفة والرب لا يقوم به الحوادث فكون
مخلوقا في غيره فجعلوا الكلام مخلوقا من المخلوقات ولم يفرقوا بين
قول وفعل وقد علم ان المخلوقات لا يتصف بها الخالق فلا يتصف
بما يخلقه في غيره من الالوان والاصوات والروائح والحركة والعلم
والقدرة والسمع والبصر فكيف يتصف بما يخلقه في غيره من الكلام
ولو جاز ان يكون ذلك لكان ما يخلقه من انطاق الجمادات كلامه
ومن علم انه خالق كلام المخلوق وافعالهم يلزمه ان يقول كل كلام في
الوجود هو كلامه كما قال بعض الملحدة وكل كلام في الوجود
كلامه سواء على سائر وجوه النظر من وهذا قول الجهمية والنجارية
والضرارية وغيرهم فان هؤلاء يقولون انه خالق افعال العباد
وكلامهم مع قولهم ان كلامه مخلوق فيلزمهم هذا واما المعتزلة فلا
يقولون ان الله خالق افعال العباد لكن الحجة توجب القول
بذلك وقالت طائفة بل الكلام لا بد ان يقوم بالمتكلم ويمتنع ان
لا يكون كلامه الا مخلوقا في غيره وهو متكلم بمشيته وقدرته فيكون
كلامه حادثا بعد ان لم يكن لامتناع حوادث لا اول لها وهذا
قول الكرامية وغيرهم وقال كثير من هؤلاء الذين يقولون
بامتناع حوادث لا اول لها مطلقا الكلام لازم لذات الرب

كلزوم الحيوة ليس هو متعلقا بمشيته وقدرته بل هو قديم
لقدم الحيوة اذ لو قلنا انه يقدر ويشاء لزم ان يكون حادثا
وحينئذ فيلزم ان يكون محلا للحوادث وقائما بذات الرب فيلزم قيام
الحوادث به وذلك يستلزم تسلسل الحوادث لان القائل
للسببي لا يخلوا عنه وعن ضده قالوا وتسلسل الحوادث ممتنع اذ
التفريع على هذا الاصل ثم ان هؤلاء لما قالوا بقدم عين الكلام
تنازعوا فقالت طائفة القديم لا يكون حروفا ولا اصواتا لان تلك
لا تكون كلاما الا اذا كانت متعاقبة والقديم لا يكون مسبوقا
بغيره فلو كانت اللام من بسم قديمة مع كونها مسبوقة بالسين
والباء لكان القديم مسبوقا بغيره وهذا ممتنع فيلزم ان يكون القديم
هو المعنى فقط ولا يجوز تعدد لانه لو تعدد لكان اختصاصه بقدر
دون قدر ترجيحا بلا مرجح وان كان لا يتناهى لزم وجود اعداد
لا يتناهى في آحاد قالوا وهذا ممتنع فيلزم ان يكون معنى واحدا
هو الامر والخبر وهو معنى التوراة والانجيل والقرآن وهذا
اصل قول الكلابية والاشعرية وقالت طائفة من اهل الكلام
والحديث وغيرهم بل هو حرف قديمة الاعيان لم تزل ولا تزال
وهي مترتبة في ذاتها لا في وجودها كالحروف الموجودة في المصحف

وليس باصوات قديمة ولم يفرق بين الحروف المنطوقة التي لا توجد
الا متعاقبة وبين الحروف المكتوبة التي توجد في آن واحد كما يفرق
بالاصوات المداد فان الاصوات لا تبقى بخلاف المداد فانه جسم
يبقى واذا كان الصوت لا يبقى امتنع ان يكون الصوت المعبر قديما
لان ما وجب قدمه لزم بقاؤه وامتنع عدمه والحروف المكتوبة
قد يراد بها نفس الشكل القائم بالمداد وما يقدر بقدر المداد كالشكل
المصنوع في محرور ورق بازالة بعض اجزائه وقد يراد بالحروف
نفس المداد واما الحروف المنطوقة فقد يراد بها ايضا الاصوات
المقطعة المولفة وقد يراد بها حروف الاصوات واطرافها كما يراد
بالحرف من الجسم حيث ومنتهاه فعال حرف الرغيف وحرف الجبل
ومنه قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف ٥ ونحو ذلك وقد يراد
بالحروف الحروف الخيالية وهو ما يتشكل في باطن الانسان من
الكلام المولف المنظوم قبل ان يتكلم به وقد تنازع الناس هل يكون
في الخيال حروف بدون اصوات في الحي الناطق على قولين وعلى هذا
فهل تكون الطائفة القائلة بقدم اعيان الحروف هل تكون قديمة
بدون اصوات قديمة ام لا بد من اصوات قديمة لم تزل ولا تزال ثم
التأويلون بقدم الاصوات المعينة تنازعوا في المسموع من القارئ

هل يسمى منه الصوت القديم فقيل المسموع هو الصوت القديم
وقيل بل المسموع صوتان احدهما القديم والآخر المحدث فالمدث
منه في وجود القرآن هو القديم وما زاد على ذلك هو المحدث
وتنازعوا في القرآن هل يقال انه حال في المصحف والصدور ام
لا يقال على قولين فقيل هو ظاهر في المحدث ليس بحال فيه وقيل
بل القرآن حال في الصدور والمصاحف هو الآن المخلوقة والحادثة
والاتحادية والاقترانية اصل قولهم ان ما لا يسبق الحوادث هو
حادث مطلقا ومن قال بهذا الاصل فانه يلتزم بعض هذه الاقوال
فانه اما ان يجعل كلام الله حادثا او قديما واذا كان حادثا فاما
ان يكون حادثا في غيره واما ان يكون حادثا في ذاته واذا كان
قديما فاما ان يكون القديم المعنى فقط او اللفظ او كلاهما فان
كان القديم هو اللفظ لزم ان يكون الكلام العربي ليس هو كلام الله
الكلام في ذلك المعنى قد عرف واما قدم اللفظ فقط فهذا
لم يقل به احد لكن من الناس من يقول ان الكلام القديم هو
اللفظ فقط واما معناه فليس هو داخلا في مسمى الكلام
بل هو العلم والارادة وهما قديمان لكن ليس ذلك داخلا في
مسمى الكلام فهذا يقول الكلام القديم هو اللفظ فقط

اما
الحروف المولفه واما الحروف والاصوات للكنه يقول بعضها
قديم واما الفريق الثانى الذين قالوا بجواز حوادث لا اول لها
مطلقا وان القديم يجوز ان يكون تعتقب عليه الحوادث مطلقا
سواء كان واجبا بنفسه او بغيره فهاولاء هم الفايلون بقدم العالم
كما يقولون بقدم الافلاك وانها لم تزل ولا تزال متحركة لعلة قديمة
ازلية لكن المنسوبون الى الملل كابن سينا ونحن قالوا انها صادرة
عن الواجب بنفسه الموجب لها بذاته واما ارسطو واتباعه
فانهم قالوا ان لها علة غايية تحرك للتشبه بها فهى تحركها كما
يحرك المعشوق عاشقه ولم يثبتوا لها مبدءا ولا موجبا بذاته وانما
اثبت واجب الوجود بطريق الوجود ابن سينا وامثاله
وحقيقه قولهاولاء وجود لحوادث بلا محدث اصلا اما
على قول من جعل الاول علة غايية للحركه وظاهر فانه لا يلزم
من ذلك ان يكون هو فاعلا لها فقولهم فى حركات الافلاك نظير
قول القدرية فى حركة الحيوان وكل من الطايفتين قد تناقض
قولهم فان هاولاء يقولون بان فعل الحيوان صادر عن غيره لكون
القدرة والداعى هى يستلزمان الفعل والقدرة والداعى كلاهما
من غير العبد يقال لهم فقولوا هكذا فى حركة الفلك فقدرته

وداعيه يجب ان يكونا صادرين عن غيره وحينيذ فيكون
المحوج الواجب بنفسه هو المحدث لتلك الحوادث شيئا بعد
شيء وان كان ذلك بواسطة التعقول وهذا الذى يقوله ابن
سينا واتباعه وهو باطل ايضا لان الموجب بذاته القديم الذى
يقارنه موجبه ومقتضاه يمتنع ان يصدر عنه حادث بواسطة
ولا بلا واسطة فان صدور الحادث عن العلة التامة الازلية يمتنع
لذاته واذا قالوا الحركة متوسطة قيل لهم فالكلام انما هو حدوث
الحركة الحادثة شيئا بعد شيء فيمتنع ان يكون المقتضى لها علة
تامة ازلية مستلزمة لمعلولها فان ذلك جمع بين النقيضين
اذ القول بلزوم المعلول للعلة التامة فى الازل وحصوله معها ناقض
ان تتخلف المعلول وتاخر من المعلول عن الاول نقيض حصوله فى الازل
الحوادث العلوية والسفلية لا محدث لها وهاولاء يقولون كلام الله
ما يفيض على النفوس الصافية كما ان الملايكة الله عندهم ما يتكلم
فيها من الصور النورانية فلا شيء من كلامه بملاك ولا ما حل حاجا فى نفوس
البشر ولا ملايكة خارجة عما فى نفوسهم عن العقول العشرة والنفوس
الفلكية السبعة مع ان اكثرهم يقولون انها اعراض وقد بسط هذا
فى غير هذا الموضع ان ما يقولونه من المحدثات العقلية التى

باب صدور

هي العقول والنفوس والمواد والصور انما وجودها في الاذهان لا في
الاعيان واما الصنف الثالث الذين فرقوا بين الواجب
بنفسه والممكن والخالق والمخلوق والغني الذي لا يفتقر الى غيره
والمفتقر الذي لا قوام له الا بالغني فقالوا ان كل ما قارن الحوادث
من الممكنات فهو محدث كائن بعد ان لم يكن وهو مخلوق ومصنوع
مربوب وانه يمتنع ان يكون فيما هو مفتقر ممكن مربوب شيء قديم
فضلا عن ان يقارنه حوادث لا اول لها ولهذا كانت حركات الفلك
دليلا على حدوثها ولما الرب تعالى اذا قيل لم يزل متكلما اذا شاء
او لم يزل فاعلا لم يكن دوام كونه متكلما بمشيئته وقدرته ودوام
كونه فاعلا بمشيئته وقدرته ممتنعا بل هذا هو الواجب لان
الكلام صفة كمال لا نقص فيه فالرب احق ان تصف به من
كل موصوف بالكلام واذا كان كمالا ثبت للمخلوق فللخالق اولى به
لان القديم الواجب للخالق احق بالكمال من المحدث الممكن المخلوق
ولان كل كمال ثبت للمخلوق فانما هو من الخالق وما جاز اتصافه
به من الكمال وجب له فانه ان لم يجب لكان عدما ممتنعا
وهو محال خلاف الفرض واما ممكنا فيتوقف ثبوته له على غيره
والرب لا يحتاج في ثبوت كماله الى غيره فان معطي الكمال احق

احق بالكمال فيلزم ان يكون غيره اكمل منه بل هو بنفسه المقدسة
مستحق لصفات الكمال فلا يتوقف ثبوت كونه متكلما على غيره فيجب
ثبوت كونه متكلما وان ذلك لم يزل ولا يزال والمتكلم بمشيئته وقدرته
اكمل ممن يكون الكلام لازما له بدون قدرته ومشيئته والذي لم يزل
متكلما اذا شاء اكمل ممن صار الكلام ممكنا له بعد ان لم يكن الكلام ممكنا
له ولهذا كان كلامه قديما مع انه متكلم بمشيئته وقدرته وان قيل
انه ينادي ويتكلم بصوت ولا يلزم من ذلك قدم صوت معين واذا
كان قد تكلم بالقرآن والتوراة والانجيل بمشيئته وقدرته لم يمتنع
ان يتكلم بالباء قبل السين وان كان نوع الباء والسين قديما لم يستلزم
ان تكون الباء المعينة والسين المعينة قديمة كما تقدم من الفرق بين
النوع والعين واذا قيل ان حروف المعجم قديمة بمعنى النوع كان
ذلك ممكنا بخلاف ما اذا قيل ان عين اللفظ الذي ينطق به زيد وعمرو
قديم فان هذا مكابرة للحس والعلم يعلم ان حروف المعجم كانت
موجودة قبل وجود نوعها واما نفس الصوت المعين الذي
قام به التقطيع والتأليف المعين وكذلك الصوت المعين
نعلم ان عينه لم تكن موجودا قبله والمنقول عن احمد وغيره من
ائمة السنة مطابق لهذا القول ولهذا انكر على من زعم ان حرفا

من حروف المعجم مخلوقا وانكر اعلى من قال لما خلق الله الحروف
سجدت له الا الالف فقالت لا اسجد حتى ادمر مع ان هذه الحكاية
نقلت لاحمد عن يحيى السقطي وهو نقلها عن بكر بن حبيب العابد
ولم يكن قصدا ولئك الشيوخ بها الابيان ان العبد الذي يتوقف
فعله على الامر والشرع احدث من العبد الذي يعبد الله بغير
شرع فان كثيرا من العباد يعبدون الله بما يحبه قلوبهم وان يكونوا
مامورين به قصدا فليك الشيوخ ان من عبد الله بالامر ولم يفعل
شيئا حتى يؤمر به فهو افضل ممن عبد بما لم يؤمر به وذكروا هذه
الاسرائيلية شاهدا لذلك مع ان هذه الحكاية لا اسناد لها ولا
ثبت بها حكم ولكن الاسرائيليات اذا ذكرت على سبيل
الاستشهاد بها لما عرف صحته لم يكن بذكرها باس وقصدوا
بذلك الحروف المكتوبة لان الالف منتصبة وغيرها ليس كذلك
مع ان هذا امر اصطلاحي وخط العرب غير ذلك كما يماثل خط
العرب ولم يكن قصدا ولئك الاشياخ ان نفس الحروف المنظومة
التي هي مباني اسماء الله الحسنى وكلمته المنزلة مخلوقة بائنة عن الله
بل هذا شيء لعله لم يخطر قط ببالهم فمن اجنح بهذا من قولهم على انهم
يقولون ان الله لم يتكلم بالقرآن العربي ولا بالتوراة العبرية فقد

مخلوق

قال عنهم ما لم يقولوه واما الامام احمد فانه انكر اطلاق هذا
القول وما يفهم منه عند الاطلاق وهو ان نفس حروف المعجم
مخلوقة فقد سلك طريقا الى البدعة فانه اذا قال ان ذلك مخلوق
فقد قال ان القرآن مخلوق ولا ريب انه بنى جعل نوع الحروف
مخلوقا بائنا عن الله كائنا بعد ان لم يكن لزم ان يكون كلام الله
العربي والعبري ونحوهما مخلوقا وامتنع ان يكون الله تكلم بكلامه
الذي انزله الى عباده فلا يكون شيء من ذلك كلامه وطريقة الامام
احمد وغيره من السلف مطابقة للقول الثالث الموافق للصريح
المعقول وصحيح المنقول والله سبحانه اعلم وله الحمد

نسخ هذا الجزء من خط الشيخ الامام العالم الورع
شمس الدين ابي عبد الله محمد بن مسلم بن مفلح الحنبلي
متع الله المسلمين بحياته وكان الفراغ من نسخه
يوم الاربعاء سابع عشر شهر رمضان سنة احدى
وسبعين وسبعمائة

شبكة الألوكة www.alukah.net